ATLAS

אטלס

أطلس

للدراسات الإسرائيلية

Atlas Center For Israeli Studies

وقت اتخاذ القرارات

في أعقاب مؤتمر بمناسبة مرور عقد على إقامة مركز دراسات الأمن القومي

صادر عن

مركز دراسات الأمن القومي

بقلم: أودي ديكل وعومر عناب

ترجمة

مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية

الأسبوع الماضي انعقد المؤتمر السنوي العاشر لمركز دراسات الأمن القومي، بمشاركة رتل من السياسيين ورجال الجيش ورجال الإعلام وخبراء من المجتمع الأمني - السياسي من إسرائيل والعالم. ومثل أي مؤتمر من هذا النوع سمعت أصوات متنوعة، وفي مواضيع مختلفة، رسمت صورة معقدة بخصوص الوضع الذي تمر به إسرائيل اليوم والتحديات التي تنتظرها في العام 2017.

ليس من الممكن بالضرورة بلورة أقوال واضحة واستثنائية بشأن كل قضية على أساس فسيفساء الآراء التي عرضت بالمؤتمر، لكن الأكيد صعود عدة توجهات واضحة ميزت نقطة الزمن الحالية.

التوازن الاستراتيجي إيجابي

توازن إسرائيل الاستراتيجي العام إيجابي؛ فهي تعتبر قوة إقليمية عظمى لها تفوق عسكري بارز على خصومها وأعدائها، وضعها الإقليمي جيد ومستقر، ويعود الفضل في ذلك كثيرًا لضعف وتآكل خصومها في أعقاب سنوات من الحروب الداخلية في العالم العربي. حمام الدم المتواصل في سوريا وفي العراق وفي ليبيا وفي اليمن من غير المتوقع أن ينتهي في المستقبل القريب.

صراع القوى على الهيمنة الإقليمية بين إيران وتركيا ودول عربية سنية بقيادة العربية السعودية يبقي المنطقة بدون استقرار، ومن دون أمل في حل قابل للحياة للعداء الديني والعرقي والقومي. رغم ذلك على الساحتين الداخلية و الدولية فوضع إسرائيل في توجه سيء، وهكذا نركز على المستقبل.

انعكاسات دخول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض

دخول رئيس جديد إلى البيت الأبيض كان التغيير المركزي الذي استغرق تقريبًا جميع المناقشات التي جرت، بل وحتى عندما نوقشت التهديدات على انه فرصة Trumpportunities، وسيما من المنظور الروسي وجهات يمينية في إسرائيل.

الانعطاف الدراماتيكي الذي شهدته السياسات في الغرب، وعلى رأسها انتخاب ترامب رئيسًا للولايات المتحدة، وقرار مواطني بريطانيا في استفتاء شعبي بالخروج من الاتحاد الأوروبي، حدثان هزا جدول أعمال المجتمع الدولي؛ هذه الانعطافات هي رد فعل ناتج عن توجهات عميقة تبلورت خلال العقد المنصرم، وتعكس خطوات انغلاق للمجتمعات

في الدول الغربية وصعود اليمين القومي فيها، بطريقة لا سابق لها في حجمها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

حسب البروفيسور شلومو أفنيري فإن لهذا الأمر أربعة أسباب مركزية: ابتعاد جماهير واسعة عن النخبة السياسية، الأزمة الاقتصادية الكبرى في العام 2008، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي، وانعكاسات الهجرة الواسعة. هذه جميعها خلقت طبقة من السكان شعرت بالخطر الحقيقي على مكانتها، ولذلك خرجت ضد النظام الديمقراطي الليبرالي القائم، الميول الانعزالي المناهض للعولمة فتح مدخلًا دخلت منه جهات منافسة للغرب في المنظومة الدولية، أول الداخلين هي روسيا التي أعاد إليها تدخلها العسكري في أوكرانيا، وبعدها بفترة في سوريا، قوتها الدولية التي فقدتها مع انتهاء الحرب الباردة، والثانية هي الصين التي زادت نفوذها في مناطق واسعة، ومن ضمنها الشرق الأوسط وافريقيا من خلال سياستها الاقتصادية.

دخول حكومة ترامب تمثل فرصة إمام إسرائيل لتؤمن متانة العلاقات مع الحليف الأهم والأوثق، وكذلك استمرار الدعم المكثف الذي تقدمه الولايات المتحدة لإسرائيل في جميع المجالات، وعلى رأسها المجال الأمني. صيحات الفرحة التي سمعت في القدس عند الاستماع إلى نتائج الانتخابات في الولايات المتحدة شهدت على الأمل ببدء مرحلة جديدة، لكن المرغوب والموصى به حقًا ألا تتسرع القيادة الإسرائيلية إلى التضامن مع كل ما يمثله ترامب.

رؤية ترامب العالمية كما قدمت خلال حملته تحتوي على جوانب إشكالية للغاية على مستوى القيم الكونية، التي ليس على إسرائيل ان تتضامن معها وتعتمدها، لأن هذا الأمر يمكن ان يكون نقمة عليها مع مرور الوقت. كلما تضامنت إسرائيل مع سياسات ترامب فإن من شأنها ان تتحول إلى الخلية الضعيفة المريضة في نظر مختلف جهات المجتمع الدولي الذين سيعارضون سياسته، كذلك إدارة الظهر الواضحة للجمهور اليهودي الليبرالي المؤيد للحزب الديمقراطي في أغلبه تعتبر قصر نظر ويمكن ان تضر بإسرائيل على المدى البعيد. على إسرائيل ان تعود لتكون القضية التي تحظى بالدعم فوق الحزبي في الولايات المتحدة.

الحاجة إلى التركيز على رأب الصدوع

تقليل حجم التهديدات الخارجية في السنوات الأخيرة أدى إلى زيادة وزن التحديات الداخلية، المسافة الأبرز بهذا الخصوص هي في العلاقات بين الجيش والمجتمع، ليس

المقصود ظاهرة جديدة، إذ انه بالفعل ومنذ تأسيسها، وبسبب كون الجيش الإسرائيلي "جيش الشعب"، كان هناك على الدوام جدل شعبي عميق حول هذه العلاقات، لكن يبدو انه في العام المنصرم فقد تغيرت النغمة.

إلى جانب القضايا التي تمس بالعلاقات بين الدين والجيش، فالحالة المؤثرة والمقصودة من قبل الجميع هي حالة الجندي مطلق النار في الخليل اليئور أزاريا، في مركز هذه القضية يدور سؤال بشأن أخلاق الجيش الإسرائيلي وعلى قيمه القتالية التي هي محل خلاف شديد، ولكن أكثر من ذلك طفت على السطح خلافات جوهرية حول سلوك الجيش وحول المؤسسات الممثلة للديمقراطية وما يخص ثقة الشعب في النظام. التصرف غير المسؤول للجهات الرسمية والنابعة من دوافع سياسية أدت إلى الإضرار الشديد في مكانة السلطة القضائية في البلاد والائتمان الذي يقدمه الشعب للجيش الإسرائيلي. الشعب في هذه الحالة كان عرضة للتلاعب الذي حدث حول مفهوم الأمن والخاضع في أساسه لتفسيرات كثيرة، والذي استغل لأغراض سياسية تقوض أسس الدولة الديمقراطية.

قضية أخرى على الساحة الداخلية، وهي مقام الجمهور العربي في دولة إسرائيل، سياسيون من كلا الجمهورين يعمقون الصدع اليهودي - العربي في الدولة، ويضرون بنسيج العلاقات الذي نسج منذ قيامها. ممثلو الجمهور العربي طالبوا بالكف عن إجراء "اختبارات الثقة" لهم، وهم يحسبون أنفسهم بشكل قاطع مواطنين في الدولة ويطالبون بالمساواة بالحقوق وتكافؤ الفرص. على هذه الخلفية تدوي أصداء قرار الرئيس رؤوفين ريفلين في المؤتمر بأن تنظيم موضوع البناء في المجتمع البدوي والمجتمع العربي في إسرائيل يجب ان يكون الأول على جدول أعمال الحكومة.

الوقت المناسب لتقديم خطة للموضوع الفلسطيني

الموضوع الفلسطيني يمثل - كما اتضح جليًا في حديث جميع المتحدثين، ومن الاستطلاع الشامل الذي أجراه المركز قبيل المؤتمر - لب التحديات التي تواجه إسرائيل في جميع الأمور. الجمود السياسي والعنف الذي اندلع بالتناوب منذ أكتوبر 2015 قررا اليأس الذي أصاب الطرفين وليس لدى كليهما خطة عمل تنجح في بث الأمل بأن تكون سلسلة العلاقات بين الشعبين ممكنة في المستقبل أيضًا.

دخول ترامب إلى البيت الأبيض تنفخ بعض الروح بسبب تصريحاته في الموضوع قبل وبعد دخوله إلى البيت الأبيض أيضًا. الدعم غير المتحفظ الذي يقدمه لإسرائيل يخلق وضعًا جديدًا حسبه في الظاهر لا يوجد في واشنطن "شرطي سيء" يكبح سياسات

إسرائيل، في واقع مثل هذا هناك فرصة مواتية لإسرائيل لإزالة الضباب، ولأن تقدم بشكل واضح سياستها بشأن الصراع، لكن فيه أيضًا خطر ان تتخذ إسرائيل خطوات متسرعة لا يمكن استردادها.

هذا الفهم تسرب جيدًا إلى السياسيين الإسرائيليين الذين حاولوا ان يعرضوا أفكارًا لتحسين وضع إسرائيل، وزير التربية والتعليم نفتالي بينيت عرض رؤية لضم المناطق (C) وإقامة حكم ذاتي للفلسطينيين في المناطق (A) و(B)؛ هذه الفكرة اتمتها زميلته وزيرة العدل ايليت شاكيد التي عرضت خطوات عملية: نقل سفارة الولايات المتحدة (ودول أخرى) إلى القدس، وضم "معاليه ادوميم" و"غوش عتصيون"، والبناء المكثف في يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، اقتراحهما يعتبر مجرد أفكار وليس خطة، إذ انه لا ينطوي على أي تطرق أو تفكير في الانعكاسات الأمنية والديمقراطية والأخلاقية لإغلاق خيار الاتفاق مع الشعب الفلسطيني ولمكانة إسرائيل الدولية، ومن الناحية الأخرى قدم رؤساء "المعسكر الصهيوني" أعضاء الكنيست يتسحاق هرتسوغ وتسيبي ليفني رؤيتهم لحل الدولتين، هرتسوغ فصّل الخطوات المطلوبة: الانفصال عن الفلسطينيين، إقامة اتفاق لعشر سنوات بلا عنف بين نهر الأردن والبحر، خلالها يجري حوار بين الشعبين لخلق الثقة، وتأسيس التعاون والإسراع في تطوير الاقتصاد الفلسطيني، ووقف دعم الإرهاب والتحريض الذي تقوم به السلطة الفلسطينية. وعند نهاية هذه الفترة سيكون من الممكن مناقشة الحل النهائي؛ هذه الرؤيا أيضًا ناقصة وليست دقيقة بما يكفي لتصبح خطة عمل قابلة للتحقق.

مكون مشترك بين جميع المقترحات كان الحاجة إلى تحسين وضع الفلسطينيين الاقتصادي، حيث بدى توافق عام على أهمية توطيد العلاقات، وهذا الأمر صواب؛ وسيما لقطاع غزة الذي يحتاج إلى تحسين كبير للوضع الانساني والبنيوي على أرضه. مكون مهم وهو خطة إقامة ميناء بحري فوق جزيرة اصطناعية قبالة شواطئه، كما اقترح وزير المواصلات والاستخبارات إسرائيل كاتس.

إجماع أوسع أكثر من هذا قائم بخصوص الفرصة للتعاون مع الدول العربية السنية البراغماتية، الدعوة إلى دفع عملية توسيع التعاون معها أصبحت تحديثًا وتعتمد على الجمع بين افتراضيين أساسيين:

1. الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، الذي كان في الماضي على رأس سلم أولويات الكثير من الدول، انخفض إلى موقع منخفض، ولم يعد يمثل عقبة أمام التقارب الرسمي.

2. إسرائيل والدول العربية لها مصالح مشتركة كثيرة، بدءًا بوقف التأثير الإيراني في الشرق الأوسط وهزيمة "الدولة الاسلامية" وانتهاء بالمواضيع الاقتصادية والبنيوية والموارد. الوزير كاتس عرض أيضًا خطة "قطارات نحو الشرق" كمنصة تجارية ومواصلاتية من أجل جدول أعمال كهذا.

ليس هناك أي عيب في التطلع للتقارب من الدول العربية، والعلاقات الأمنية مع مصر والأردن تعزز الاعتراف بإمكانية الاتفاقيات السلمية الإيجابية. لكن الافتراض الإسرائيلي التي يوشك ان يتم نضجه لإقامة علاقات رسمية علنية دون التقدم في الموضوع الفلسطيني لا يعتمد على أساس عملاني ويتنصل من الشارع في الدول العربية، الذي لا يزال ينظر إلى إسرائيل على أنها "بطاقة حمراء".

بالمفهوم الأوسع؛ إسرائيل تشهد اليوم "انتفاضة دولية" كما وصفها الجنرال الأمريكي المتقاعد ديفيد بتروس، مجموعة اللاعبين على هذه الساحة تعمل ضد إسرائيل، الجزء الأصغر منهم بدافع معاداة السامية ونزع الشرعية عن جوهر وجود دولة إسرائيل، وسيما برعاية حركة BDS، لكن القسم الأكبر تحركه معارضة سياسة إسرائيل فيما يخص الفلسطينيين.

قرار مجلس الأمن 2334 في ديسمبر 2016 كان بمثابة أنموذج يمثل هذا الأمر، فسياسة البناء في المستوطنات تحولت في نظر العالم اختبارًا لنوايا إسرائيل الحقيقية: هل هي راغبة باتفاق سياسي يقوم على أساس حل الدولتين؟

في نهاية المطاف؛ عدم الاستعداد الإسرائيلي لإنهاء السيطرة على شعب آخر في الضفة الغربية، والقضاء عمليًا على فكرة حل الدولتين؛ من شأنهما أن يقودا إلى عزل إسرائيل سياسيًا وخطر المقاطعة والعقوبات. إقامة وتفعيل أنظمة لمحاربة نزع الشرعية يمكن أن تسهم محليًا في تحسين مكانة إسرائيل، لكن ليس بشكل جوهري، إظهار الاستعداد للتقدم نحو ترتيب العلاقات مع الفلسطينيين - بما في ذلك خطوات حقيقية على الأرض - هي الطريق الصحيح بالنسبة لإسرائيل.

مسألة صلاحية استراتيجية عدم التدخل في سوريا

منذ بداية الحرب الأهلية في سوريا والتدخل المباشر للوكلاء والقوى العظمى فيها؛ اختارت إسرائيل استراتيجية عدم التدخل، إلا إذا انعكس تهديد حقيقي على إسرائيل. التدخل العسكري الروسي - الذي أصبح مكونًا مركزيًا يصمم المستقبل السوري، وكذلك تعزز قوة التحالف الموالي للأسد بقيادتها، وبمشاركة كل من إيران وحزب الله

وآلاف مقاتلي الميليشيات الشيعية الأخرى - اكتسب زخمًا إيجابيًا في أعقاب النصر في حلب، ورجح كفة ميزان القوى العام في الحرب لصالح الأسد. وأولًا عن آخر ستنزلق المعارك إلى هضبة الجولان السورية؛ الأمر الذي قد يؤثر مباشرة على إسرائيل، وأن يزيد من احتمال التصعيد مع إيران ووكلائها، وسيما أمام حزب الله وفي لبنان كذلك.

يظهر من هذا التشريح انه ومن اجل الاستعداد لوضع كهذا فإن على إسرائيل ان تعزز التعاون مع الأردن في مجهود إقامة منطقة نفوذ مشتركة في الجنوب السوري، ومحاولة استمرار تصميم واقع مريح لها على الحدود السورية عبر المساعدات المدنية الانسانية للسكان المحليين؛ شريطة ان يمنعوا عن الأعمال الإرهابية من أراضيهم.

سوريا أيضًا مرتبطة للغاية بسياسات ترامب، وكما هو معروف الآن يبدو انه سيفضل التركيز على القضاء على "الدولة الاسلامية" فقط كما فعل سلفه، ومسألة الحل الشامل سيسعى إلى إبقائها في يد روسيا. تغير الموازين بين اللاعبين الدوليين الأساسيين في الشرق الأوسط، بما في ذلك ما اتضح من خلال مؤتمر الأستانة، والذي قاده الروس، وكان سابقة دراماتيكية لم تكن الولايات المتحدة - وللمرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية - شريكة مركزية في عملية اتفاق عالمي هناك.

هذا الخط مقلق للغاية بالنسبة لإسرائيل، وعليها ان تعمل حثيثًا أمام الولايات المتحدة من أجل تحقيق هدفها الأساسي، وهو انه وفي أي ترتيب مستقبلي في سوريا لن تكون إيران جزءًا من الحل، وكذلك لا يسمح لها ولا لحزب الله بأن يكونا موجودين في سوريا عمومًا، وفي هضبة الجولان خصوصًا. الجهد الإسرائيلي في الموضوع الإيراني يجب ان يكون جزءًا من سياسة عامة في الموضوع، الرئيس ترامب أعلن عن رغبته في التنصل من الاتفاق النووي الذي وقع في يوليو 2015، ومن الصعب المعرفة إلى أي حد كان جادًا في قوله هذا، نشكك في أن إلغاءً أحادي الطرف للاتفاق سيخدم المصالح الأمريكية وحلفاءها، بما فيهم إسرائيل.

وعلى أية حال، على إسرائيل أن تبني خطة مشتركة مع الولايات المتحدة لمحاربة إيران على مستويين: الأول والفوري هو منع الانتشار الأخير والتخريب الإيراني في الشرق الأوسط، والثاني هو التجهز المخابراتي والتنفيذي للسنوات التي ستنقضي فيها القيود المضمنة في الاتفاق النووي وتستطيع فيها إيران الاقتراب من القنبلة النووية.

بلورة نظرية أمنية للتحديات الآنية والمستقبلية

على إسرائيل أن تبلور نظرية لمواجهة مجمل التحديات التي عرضت خلال المؤتمر، وكذلك تحديد الأهداف السياسية الأمنية للمستقبل. من القضايا التي عرضت تظهر عدة بؤر للضوء بخصوص قوة وتفوق إسرائيل العسكري، القوة الجوية للجيش الإسرائيلي حظيت بالصعود درجة مهمة في أعقاب استيعاب طائرات (F-35)، وفي المقابل تطوير قدرات مقدمة للطائرات غير المأهولة ومنظومة الدفاع الجوي متعدد الطبقات. تم بناء منظومة انترنت يتصدر اليوم الجبهة الإسرائيلية المستحدثة، الانترنت يثبت كيف يمكن استخدام الرؤى والبنى المدنية الموجودة وتحويلها إلى أداة قوية (ناعمة وصلبة) في خدمة أمن دولة إسرائيل القومي.

كذلك الخطة متعددة السنوات الحالية للجيش الإسرائيلي (جدعون) تبدي تكيف الجيش الإسرائيلي مع العالم المتغير وتفكيره في العمليات الخارجية والداخلية في المجتمع الإسرائيلي، من ناحية أخرى فهي تبرز ما يشبه وثيقة "استراتيجية الجيش الإسرائيلي" من أغسطس 2015 حقيقة ان الخطط العسكرية لا تكفي، وأن فجوة غياب تحديد رؤية وأهداف سياسية باتت ملموسة. الأجهزة الأمنية تعمل اليوم دون توجه استراتيجي أو سياسي على المدى البعيد، وتضطر لإقامة عمليات تخطيط حسب ما حددته هي لنفسها بهدف السماح بجهوزية جيدة للمستوى العسكري للتحديات المستقبلية.

ملخص: وقت اتخاذ القرارات

في بداية العام 2017 تقف إسرائيل أمام علامات استفهام أكثر من علامات القراءة، بعضها يرجع إلى عدم التأكد المتعلق بالنظام الجديد في واشنطن وانعكاسات التغيير في محيط إسرائيل الاستراتيجي، ولكن الكثير منها متعلق بالميل إلى الهروب من القرارات والحسم الذي عليها ان تتخذها لصالح نفسها.

على الساحة الداخلية: مطلوب العمل على ترميم المزق بين أقسام المجتمع واستعادة مكانة الجيش الإسرائيلي والمحاكم واسم الديمقراطية ومبادئ الاخلاق.

على الساحة الإقليمية: ممكن - بل ومرغوب - مواصلة دفع التعاون مع الجهات التي يمكن ان نعمل معها على أساس المصالح المتداخلة، بما في ذلك قوى وجهات التأثير المحليين غير الدول في البناء التدريجي من الأسفل إلى الأعلى.

على الساحة الدولية: من الضروري ترميم مكانة إسرائيل، ليس فقط اعتمادًا على حكومة ترامب؛ وإنما من خلال إظهار قيم إسرائيل المضافة إلى العالم الحر في مجالات القيم المشتركة والاقتصاد وتحديث العلم والتقنية. وأكثر من هذا كله على إسرائيل أن تعمل حثيثًا في الحفاظ على بناء خيارات لترتيب الملف الفلسطيني على أساس الانفصال مع أفق لإنهاء السيطرة على الشعب الفلسطيني بطريقة تضمن استمرار بقاء إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية أخلاقية آمنة، ومن أجل تحسين حياة الشعبين.

ترجمة ونشر

مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية

Atlas Center For Israeli Studies

Website: www.atls.ps

Email: atlas.ps@hotmail.com

Facebook.com/atlas.ps1

Tel. : 0097082834064

Mobile: 00970592826767

جميع الحقوق محفوظة

فبراير 2017